اللسانيات التعليمية دراسة في الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي

د/ مصطفى غربي
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس/الجزائر

Quand on discute sur le point de documentation accompagnant les programmes de la 3éme année primaire c'est pour une valorisation déterminée et pour une bonne appréciation des efforts du Comité national dans sa quête de construire un espace éducatif moderne, Basé sur l'échelle des valeurs humaines que sur la base de la référence culturelle et cognitive fertile et productive.

يأتي الحديث عن الوثيقة المرافقة لمناهج السنة 3 من التعليم الابتدائي ليُثمّن جهود اللجنة الوطنية في سعيها إلى بناء فضاء تعليمي حديث، يقوم على سُلّم من القيم الإنسانية مثلما يستند إلى مرجعية ثقافية ومعرفية خصبة ومتنامية....

وإذا كانت « عملية التعليم هي عملية تحفيز وإثارة قوى المتعلم العقلية ونشاطه الذاتي، بالإضافة إلى توفير الأجواء والإمكانيات الملائمة التي تساعد المتعلم على القيام بتغيير في سلوكه الناتج عن المثيرات الداخلية والخارجية »[1] ، فإن تحقيق هذه الغايات واستثمارها في مجال البيداغوجيا بعامة، يحتاج – ولا شك– إلى دعامات إجرائية ترافق قضايا التعليمية، وتزيدها وضوحا وعمقا....من هذا المنطلق يأتي هذا العمل ليسلط الضوء على جانب من تلك الجهود والاجتهادات التي تروم إفادة المواقف التعليمية وتعزيز المهارات الفردية للمتعلم... وهو ما تسعى إلى تحقيقه الوثيقة المرافقة لمناهج السنة 3 من التعليم الابتدائي....الوثيقة من إصدار وزارة التربية الوطنية الجزائرية في يوليو 2004م، وقد قدمت اللجنة الوطنية للمناهج لهذه الوثيقة وجعلت الغاية منها: « تقديم بعض البيانات التفصيلية المتعلقة بعدد من النقاط الواردة في المنهاج»[2] ، وذلك من خلال:

– تسليط الضوء على جانب من الإجراءات المنهجية والمعرفية التي تدعم نشاط القراءة والكتابة والمحفوظة والمطالعة، وما يرافقها من مسائل بيداغوجية لا غنى لتعليمية اللغة عنها... وفي مقدمتها « تحديد المسعى الذي يوجه خطوات المربي وهو يعمل على بعث وتنمية الكفاءات المقررة في ممارسته اليومية داخل القسم»[3] وفي مختلف المواقف التعلمية....

– تقريب بعض المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بمحتويات منهاج السنة الثالثة ابتدائي، إذ عمدت الوثيقة إلى« بيان مفهوم النشاط، ومقارنته بمفهوم المادة للفت انتباه المربين إلى الدلالة الدقيقة التي يحملها هذا المصطلح الجديد،كما تناولت نشاط الإدماج الذي ينص المنهاج على أنه نشاط يتم في آخر حصة من حصص الأسبوع وفي شكل عمل كتابي... وآخر مسالة تناولتها الوثيقة هي موضوع التقييم حيث أبرزت كيفية تقييم الكفاءات وأوردت موازنة بين التقييم التكويني والتحصيلي»[4] ، وما يميز بينهما من خصائص ومواصفات ....

تتوزع الوثيقة – إذن– على مباحث متعددة يشغل الحديث عن المقاربة بالكفاءات وما يقترن بها من قضايا تعليمية، حيزا هاما من مضامينها، وهو ما يمكن تتبعه خطوة خطوة، وجانبا بعد جانب...ووفق المدارج ذاتها.

التعليم وفق مقاربة الكفاءاتتذهب الوثيقة إلى أن العملية التعليمية بمقاربة الكفاءات تمنح المتعلم القدرة على تنمية مهاراته الذاتية لأجل توظيفها في التكيف مع الواقع، ومسايرة المواقف الحياتية المختلفة، فالتعليم من منظور الوثيقة يعني ربط المحتويات المعرفية بالممارسة الفعلية تنظيرا وتطبيقا، ودون فصل أو تقصير ...

ولتحقيق هذا الطموح المعلن، فإن عمل اللجنة الوطنية للمناهج يؤكد، بشكل جلي، على ضرورة أن يصبح المتعلم قادرا على تجسيد حصيلة المقاربة بالكفاءات بعد أن يتلقى « المعارف الخاصة بتحرير عدد من السندات التي تتدرج هي أيضا في الاستعمال الواسع في التواصل الاجتماعي مثل الرسالة والبطاقة...»[5] وغيرها .

من هنا ترتسم حدود التوافق بين الوثيقة المرافقة ومنهاج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي الذي يروم بدوره « بعث وتنمية كفاءات قاعدية محددة موزعة على المهارات اللغوية الأربعة، وهذه الكفاءات القاعدية هي تفريع أو تحليل للكفاءة الختامية التي يجب أن تظل طول السنة نصب عيني المربي، فهي بمثابة لوحة القيادة التي ترشد إلى العمليات التي ينبغي انجازها من أجل تحقيق الأهداف.. »[6] وإدراك الغايات المنشودة.

هذا التوجه العلمي المتميز في التعامل مع العملية التعليمية، يحيلنا بالتأكيد على مجموعة من القضايا الأساسية التي ينبغي الوقوف عندها بعناية كبيرة لأهميتها في تحديد موضع هذا المنهج أو ذاك، ضمن المسار التعليمي العام في بلادنا... وهو ما يمكن التلميح إليه من نواح ثلاث:

أولا: إن حديث اللجنة الوطنية للمناهج عن التدريس بمقاربة الكفاءات، يظهر تغييبا واضحا لمرجعية منهجية سابقة ظل الفضاء التعليمي يستند إليها ردحا غير يسير من الزمن، لعل أبرزها التدريس بواسطة الأهداف الذي شاع وذاع بين أفراد الوسط التربوي كلما حلت مناسبة أو تحقق لقاء....

ثانيا: إن هذا الاحتفاء الواضح بمنهج تعليم اللغة وفق المقاربة بالكفاءات، قد يدفع إلى الاعتقاد بأن الوثيقة تقر بمشروعية هذا المنهج التعليمي وبفضله على غيره مما سبقه، على الرغم مما قد يحمله في ذاته من ثغرات قد تفصح عنها الأيام ويسطره واقع التجربة...

ثالثا: إن الوثيقة لا تلمح بشكل أو آخر إلى ضرورة الإعداد لاستحضار مناهج تعليمية جديدة، قد تحمل في جوانبها معالم التجديد والتغيير بما يناسب العصر ويسايره ...

الأهداف التعليمية:

تتناول الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي ستين هدفا (60

مما ينبغي على المعلم الرجوع إليه والاستعانة به « لتصحيح مساره التعليمي عند الاقتضاء»[7] ، وقد تم – في هذا الصدد– التنبيه إلى جملة من المسائل البيداغوجية التي ترافق العمل بالأهداف، وتسعى إلى تحقيقها، ومنها[8]:

- ضرورة التفريق بين الأهداف التعليمية والأهداف الخاصة.
- الأهداف التعليمية يستمر العمل بها طوال العام، فهي لا ترتبط بسندات محددة ولا نصوص معينة ، يمكن أن تسلط على أي سند وعلى أي نص في الغالب.
- ضرورة التركيز على هدف محدد منها إذا رأى (المعلم) أن تلاميذه يحتاجون إلى وقفة طويلة عند الهدف.

- الأهداف التعليمية لا يتم تحقيقها في حصة واحدة ولا في عدد قليل من الحصص، بل قد تتم تنميتها وتثبيتها خلال السنة الدراسية كلها....وقد مثلت اللجنة الوطنية للمناهج لهذا الأهداف بالمداخل القرائية [9] الآتية :
- يقرأ المتعلم الكلمات الجديدة من غير تردد.
- يستخدم قرائن لغوية وغير لغوية لتحديد معاني الكلمات الجديدة.
- يعبر عن مشاعره وتأثره وذكرياته.
- يصف واقعا من عدة جوانب.
- يحدد معطيات مشروع الكتابة (القصد- الموضوع- المستقبل).
- يستعمل الكتابة وسيلة للتواصل.

يتضح مما سبق أن اهتمام الوثيقة بجانب الأهداف التعليمية جلي وواضح، فالتصريح بعددها (حوالي 60 هدفا)، والتفصيل في طرق التعامل معها، تبعا للمواقف الجديدة والغايات المنشودة، يؤكد حرص اللجنة الوطنية للمناهج على إنزال الهدف المنزلة التي تجعل منه عماد الدرس وركيزته...غير أن هذا القدر الكافي من الاهتمام بهذا التوجه التعليمي المتميز قد لا يحول دون فشل الهدف في تحقيق الغاية منه، لعوامل نفسية واجتماعية ذاتية وموضوعية، يضيق المقام عن الإحاطة بها لتشعبها وتقاطع جانب كبير منها..

مفهوم النشاط

تنبه الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي إلى أن المنهاج يستبدل لفظ (مادة)، وهي« جزء من فرع من فروع المعرفة يقررها برنامج دراسي ساري المفعول »[10] ، بمصطلح (نشاط) لاعتبارات نفسية/ منهجية ومعرفية تستجيب لمتطلبات العملية التعليمية بالكفاءات فالنشاط « هو ممارسة المتعلم التي تنصب على محتوى تعلمي في حصة من حصص الدرس داخل القسم، وبناء على توجه المعلم» [11]، وتمثل اللجنة الوطنية لهذا المفهوم بالجهد «الذي يبدله المتعلم في حصة التعبير الشفوي، إزاء سند بصري للتعبير عن المشهد أو إبداء رأيه في أمر ما، أو محاولة استعراض تجربة من تجاربه، أو ذكرى من ذكرياته»[12].

بهذا المثال يكون النشاط – حسب الوثيقة- تعبير عن حركة المتعلم الدائبة ومساهمته الفاعلة في إقامة الدرس وفق ما يمليه السند التربوي المقرر والمحدد سلفا... على خلاف ما يحمله مصطلح (مادة) من دلالات الثبات، والعمل الجاهز المراد به تحويل الحمولة المعرفية وحصرها بين باثّ ومُتلق دون سواهما.

والمؤكد أن مصطلح (نشاط) أقرب دلالة من غيره ، فهو يجافي صفة الثبات والجمود ... وهنا تعيب الوثيقة على المدرس الذي « ينظر إلى العملية التعلمية التعليمية على أساس أنها تحويل ونقل للمعارف وتفريغها في ذهن المتعلم تماما كما يفرغ المرء أي مادة في أي وعاء، مدرس يفضل الطرائق التقليدية الطرائق التي تؤثر مخاطبة الذاكرة والحرص على ملئها لا غير.. أي نقل محتويات في شكلها الخام إلى ذاكرة التلميذ، أما المدرس الذي يفضل حمل المتعلمين على إنجاز أعمال وتسليط ممارساتهم على المحتويات، فمدرس يؤثر الطرائق النشطة التي يوصي المنهاج باعتمادها وتبنيها، وهي طرائق تدعو إلى وضع المتعلم على صعيد الممارسة والعمل والإسهام الفعلي في أي خطوة من خطوات الدرس»[13].

في ظل هذا التصور الجديد والمتقدم يطرح المشهد التعليمي مسألة مدى استعداد المتعلم على التجاوب مع المحتوى التعليمي، بما يملكه من آليات منهجية ومعرفية كافية ترقى به وتمنحه القدرة على الاجتهاد والإبداع... وهل (المشروع/المادة) غاية في ذاتها أم وسيلة لتحقيق الأهداف وتحصيل المهارات ؟

نشاط الإدماج

معنى لفظ الإدماج في الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي « توظيف المتعلم لمختلف مكتسباته المدرسية وتجنيدها بشكل مترابط في إطار وضعية ذات دلالة لجعل المتعلم هو الفاعل في إدماج المكتسبات وليس غيره .. »

[14]، وقد عددت الوثيقة المرافقة لنشاط الإدماج مزايا ومواصفات [15] أهمها:

- الإدماج للمكتسبات التعلمية هو عملية فردية
- لا يمكن إدماج سوى ما هو مكتسب بصورة جيدة، حيث يقوم المعلم بتمكين المتعلم من كل الأدوات التي تساعده على استثمار مكتسباته .
- أهميته تساعد على تشخيص المكتسبات التعلمية منذ البداية قصد إعادة استعمالها.
- تسمح بمعرفة مدى استجابة التلميذ للعمل التطبيقي الكتابي حينما يكتب موضوعا في التعبير.
- المواد المختلفة تجد في نشاط الإدماج أحسن مجال لتوظيفها واختبارها من قبل المتعلم.
- ينجز نشاط الإدماج في كل أوقات التعلم عند نهاية بعض التعلمات.
- اختلاف مدته باختلاف النشاط نفسه، إذ يمكن أن تستغرق مدة قصيرة عندما يتعلق الأمر باسترجاع مكتسبات عديدة في وضعية معينة، وقد تطول المدة في نهاية التعلم مثل إنجاز مشروع معرض مدرسي من قبل التلاميذ .

كما يشترط عمل اللجنة الوطنية للمناهج لانجاز نشاط الإدماج[16] ما يلي:

1- تحديد الكفاءة المستهدفة

2- تحديد المكتسبات التي يريد أن يجندها المتعلمون ومن ثم إدماجها في وضعيات جديدة

3- اختيار وضعية جديدة في كل حصة لنشاط الإدماج على أن تكون ذات دلالة ويراعى في ذلك محتوى النشاط والوسائل المستخدمة فيه وخطوات الإنجاز.

بيداغوجيا المشروع:

أوردت الوثيقة لمصطلح (مشروع/درس) مفاهيم عديدة [17] منها:

- المشروع هو « تصور لشيء ما ينبغي إنشاؤه ونتيجة نرغب في الحصول عليها».
- المشروع هو « مجموع الوسائل والأفعال التي تسمح بلوغ الهدف».
- المشروع هو « ما نريد الحصول عليه وكيفية الحصول عليه والتخطيط لانجازه في آن واحد» .المشروع هو« النية التي نصرح بها بشكل عام أو دقيق في إنجاز شيء ما في المستقبل القريب أو البعيد، بذكر وسائل الإنجاز وكيفية استعمالها والإستراتيجية المناسبة» .

- المشروع هو « توقع النتيجة التي سنحصل عليها في الأخير».

ثم تأتي الوثيقة ذاتها على تحديد ما ينبغي للمشروع أن يمر به من مراحل[18]، لعل أبرزها:

أ- تقديم المشروع، وهو من مهام المعلم ودوره، فهو يعرض على المعلمين الإشكالية المقصودة بالدراسة، ويجتهد في تقريبها إلى الأذهان والأفهام بأيسر الطرق وأنجعها.

ب- مناقشة المشروع، وهي من عمل المتعلمين وجهودهم، إذ يسعى هؤلاء من خلال طرح جملة من الأسئلة إلى تحديد المشكلة المحورية في المشروع والهدف منها.

هنا أيضا تضع الوثيقة مصطلح (مشروع) في موضع (درس) مع إيراد مفاهيم متعددة لذلك... وإذا كان تقديم المشروع من مهام المعلم ودوره – كما تقره الوثيقة– فإن مسألة قدرة المتعلم على مناقشة المحتوى المعرفي وإثرائه بما يقيم الدرس ويخدمه، يكون رهينا بالالتفات إلى قضايا بديهية منها:

-المستوى المعرفي للمتعلم، والذي يتفاوت في حجمه وأهميته من شخص إلى آخر.

-الظروف المحيطة بالمتعلم والموجهة لسلوكه: (البيت/ الشارع/ المستوى المعيشي/ العوامل الوراثية وغيرها كثير ومتنوع).

التقييم:

معنى لفظ (تقييم) في عرف التعليمية : « مجموع العمليات التي نقوم بها للحصول على معلومات عن مكتسبات المتعلم من معارف وكفاءات، وعن مهاراته ومواقفه، وتحليلها قصد التبصر بها عند اتخاذ قرارات التعديل أو الاستمرار أو الدعم سواء كان ذلك في بداية العملية التعلمية /التعليمية أو في أثنائها أو في نهايتها »[19] ، وقد أكدت اللجنة الوطنية للمناهج عل أن عملية التقييم بمقاربة الكفاءات يستدعي من المعلم القيام بتكليف المتعلمين بأعمال محددة، تسهم في انخراطهم في فضاء المشروع عن طريق[20] :

- حثهم على القيام بأعمال تسهل تفاعلهم وتزيد تدريجيا في التعقيد
- دفعهم باستمرار إلى التفكير في كيفية إنجازهم للأعمال
- الربط بين المعارف المكتسبة واستعمالاتها في سياقات جديدة

وقد فصلت الوثيقة في الحديث عن التقييم بنوعيه وما ينتظم تحته من مدارج ومكونات [21]على نحو:

التقييم التكويني	التقييم التحصيلي
مرحلي	نهائي يأتي بعد مجموعة من الوحدات البيداغوجية أو في نهاية التعليم
مرآة للأستاذ يعاين بها آثار عمله	لا يخص إلا التلاميذ
جزء لا يتجزأ من مسار التعلم	يستهدف نمو الكفاءات (التي تمثلها المعارف التصريحية والمعارف الإجرائية والمهارات والقدرات)
متبوع بالتعمق والعلاج (سد الثغرات)	متبوع بالتغيير
لا يمنح علامة ولكنه يقدم ملاحظات وتوجيهات عديدة	يمنح علامة تعتمد لحساب المعدل وللانتقال إلى مستوى أعلى
وظيفته التكوين وتجاوز العوائق	وظيفته الانتقاء ومنح شهادة ومراقبة النتائج والعلامات

ولعل ما يعوز هذا الطرح هو إغفال الوثيقة الحديث عن الحد الفاصل بين دلالة مصطلح (تقييم) ومفهوم لفظ (تقويم)[22]، وأيهما أسبق في العملية التعليمية وأنفع للمعلم والمتعلم على حد سواء ...

نشاط الكتابة:

تقرن الوثيقة المرافقة مستوى تحصيل مهارة الكتابة بمراحل التعلم المتعاقبة « فإذا كان التلميذ في السنتين الأولى والثانية قد تمكن من تصوير الحروف والمقاطع، والكلمات انطلاقا من المحاكاة، وتمكن من كتابة ما يسمع اعتمادا على ما رسخ في ذاكرته من أشكال، وتعلم مجموعة من القوانين التي تحكم الكتابة ..فإن السنة الثالثة تمثل مرحلة يبدأ فيها بالوعي بأهمية الكتابة في عملية التواصل»[23] ، وقد جعلت الوثيقة لنشاط الكتابة فروعا حصرتها في آليات ومهارات هي:

الخط:

تشدد الوثيقة على ضرورة العناية بمهارة الخط لتنمية قدرات المتعلم في مجال الكتابة ، وعبر طرائق محددة [24] هي:

– أن يستمر الحرص على توجيهه في رسم الحروف رسما صحيحا داخل نسق الكلمة، حتى يتمكن من كتابة الكلمة بحروف متآلفة.

– أن يواصل في كتابة الجملة مع مراعاة المسافات اللازمة بين الكلمات، مما يكفل وضوحا في إدراكها من حيث هي وحدات موزعة في فضاء الورقة.

– أن ينتقل إلى مجال أوسع هو الفقرة، فيتعلم كيف يستهلها من حيث ترك البياض الذي يعتبر ميزة لها ككيان داخل النص.

– أن يتحكم في الكتابة على السطر.

الإملاء:

تتناول الوثيقة المرافقة نشاط الإملاء من زاويتين فهي من جهة تعطي للمعلم حرية اختيار المقاطع التي يراها مادة ملائمة لاختبار قدرات المتعلمين على التقيد بقواعد اللغة شكلا ورسما ، وهي من جهة أخرى تشدد على ضرورة أن تكون تلك القطع المنتقاة جذابة ومشوقة [25] بعيدة عن التعقيد، خالية من الحشو اللفظي الزائد...

التمارين الكتابية:

تعرف اللجنة الوطنية للمناهج التمارين الكتابية بأنها « وسيلة من أهم الوسائل لاستثمار معارف التلميذ وتعزيزها وتقدير مدى استيعابه لما مر به »[26] ، وهي تتخذ في الوثيقة أشكالا ومسارات منها التكرار وملء الفراغ والانتقال من الجواب إلى السؤال...على أن يراعى في عرضها وتقديمها عامل التدرج والانتقال بذهن المتعلم خطوة بعد خطوة ...

التعبير الكتابي:

تجمع الدراسات الحديثة على أن التعبير في مفهومه العام « ترجمة الأفكار والمشاعر الكامنة بداخل الفرد مشافهة وكتابة، بطريقة منظمة ومنطقية مصحوبة بالأدلة والبراهين التي تؤيد أفكاره وآراءه اتجاه موضوع معين أو مشكلة معينة»

[27] ، وقد خلصت الوثيقة إلى أن الغاية من الخط والإملاء والتمارين الكتابية، توفير الشروط الضرورية لولوج عوالم التعبير الكتابي.

هذا –إذن– عرض مقتضب لما تضمنته الوثيقة المرافقة لمناهج السنة 3 من التعليم الابتدائي من محتويات متعددة تلتقي جميعها حول التدريس بمقاربة الكفاءات، والواضح أن اللجنة الوطنية للمناهج قد اهتدت إلى أفضل السبل المؤدية إلى فهم معالم هذا المنهج، والاستفادة منه في تلقين اللغة للناطق ولغير الناطق بها... وهو توجه لا يخلو في رأينا من ثغرات تتفاوت خطورتها من مسألة إلى أخرى ومن طرح إلى آخر...

الإحالات:

[1] – عبد الله راشدين ونعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق، عمان 2006 ص 265.

[2] – وزارة التربية الوطنية الجزائرية ، الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة (3) من التعليم الابتدائي الجزائر 2004 ص8

[3] –نفسها ص8

[4] – نفسها ص 8

[5] – نفسها ص 9

[6] – نفسها ص9

[7] – نفسها ص9

[8] – نفسها ص10

[9] – نفسها ص10 ، والقراءة في الدراسة الحديثة والمتخصصة «نشاط إدراكي بصري وفكري، يتيح فك ترميز معنى نص بوساطة إعادة بناء الخطاب الذي تم ترميزه في هيئة معلومات خطية» بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2010ص263 .

[10] – بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2010 ص285

[11] –الوثيقة ص11

[12] – نفسه ص11

[13] –نفسه ص11

[14] –نفسه ص12

[15] – نفسه ص12

[16] –نفسه ص12

[17] – نفسه ص13

[18] –نفسه ص13

[19] – اسماعيل المان، التقييم، مجلة المربي، المركز الوطني للوثائق التربوية الجزائر 2004 ع2 ص6

[20] –الوثيقة ص16

[21] –نفسه 17

[22] – تحدد سهيلة محسن كاظم الفتلاوي الغاية في « معرفة ما صادف كل منهم من صعوبات وتدريبهم على مناقشة موضوع وثيق الصلة بهم فضلا عن الثناء للجهود المبذول فيها والثناء على الجهود المتميزة ... » المدخل إلى التدريس، دار الشروق عمان 2003 ص258.

[23] –الوثيقة ص20

[24] – نفسه ص20

[25] – نفسه ص21 ، ويعرف بعض الدارسين المحدثين الإملاء بأنه «نظام لغوي معين موضوعه الكلمات التي يجب فصلها والتي يجب وصلها، والحروف التي زادت والحروف التي تحذف، والهمزة بأنواعها المختلفة سواء كانت مفردة أم على أحد حروف اللين الثلاثة ، والألف اللينة ...، وعلامات االترقيم، والكلمات النوعية

الواردة بالمواد الدراسية، والتنوين بأنواعه والمد بأنواعه، وقلب الحركات الثلاث، وإبدال الحروف واللام الشمسية والقمرية» سليمانو حميدة النمو اللغوي لدى الطفل، المركز الوطني للوثائق التربوية الجزائر، 2011 ص90.

[26] -الوثيقة ص21

[27]- المركز الوطني للوثائق التربوية مصطلحات ومفاهيم تربوية الجزائر، ص21 .